السحر غش

كان الأولى بنا ان نجعل عنوان هذه المقالة "الشعبذة غش" لولا غاية اردناها فبين السحر والشعبذة فرق عند التحصيص لان السحر وان كان يأتي بمعنى الشعوذة فمفهومه المتبادر انهُ عمل يتقرب بهِ الى الشيطان والشعبذة (وبلسان العامة الزعبرة) خفة في اليد تُري الشيء بغير ما عليهِ اصلهُ او توهم بوجود مناظر غير موجودة في الحقيقة وهذه مسلَّم بوجودها الآن اجماعًا ولا يدَّعي اصحابها انهم يأتون شيئًا عجيبًا خارقًا لنواميس الطبيعة بل يقرُّون ان كل اعمالهم محصورة في هذه النواميس . واما السحر فلا يقتصر على النواميس الطبيعية بل يتعداها الى ما فوق الطبيعة وهذا لا دليل البتة على وجودهِ الآن بل كل الادلَّة على عدم وجودهِ . وليس في هذا القول مناقضة لدين من الاديان خلافًا لما يتوهمهُ البعض لانهُ انما ينفي وجود السحر الآن وذلك لا يقتضي نفيهُ قبلاً كما انهُ اذا نفى نزول الوحي وعمل المعجزات الآن لا ينفي بذلك كونهما قد وُجِدا وهذا واضح لا يقبل زيادة ايضاح

اما الباعث على تسطير هذه المقالة فهو انخداع كثيرين باعمال المشعوذين اذ يشكل عليهم حلها فيتوهمون انها من اعمال الشيطان فيرتاعون وقد رسخ هذا الوهم في اذهان البعض رسوخًا شديدًا حتى انك لتفرغ عليهم ما في جعبتك من الحق الساطع والبرهان القاطع ثم تغادرهم على ما لفيتهم غير مصدقين . واما الآخرون فينبذون وهم جاهلا يستضيئون بنبراس الحق ولعل هذه المقالة تأتيهم بما نتمنَّاهُ لهم من الفوائد وهي ملتقطة من كتب الباحثين ومما افادنا اياهُ بعض مهرة المشعوذين وما كشفناهُ بانفسنا من ترهات الساحرين

لا يسعنا هنا ان نذكر طرق الشعوذة بنواميس السمعيات والبصريات والهوائيات والميكانيكيات ونحوها من النواميس الطبيعية التي كان عليها مدار السحر عند كثيرين من شعوب الاجيال الوسطى وما قبلها فنضرب عنها صفحًا ونشرع في كشف السحر على ما هو جارٍ الآن في الهند وسورية ومصر وتونس والجزائر وغيرها من بلدان الشرق وولايات الدولة . فمن ذلك سحر الهنود في قعود الساحر على الهواء بلا شيء فوقهُ ولا تحتهُ ولا حولهُ غير عكاز تحت يدهِ . واوَّل من فعل ذلك شيخ برهي في مدينة مدراس كان يصعد على طاولة ذات اربع قوائم وثقب فيهِ قصبة من قصبهم الغليظ المعروف بالبمبو وفي اعلى هذه القصبة قبضة مشدود عليها جلد كالقبضة التي يتأبطها الاعرج ليتوكأ عليها . ثم يلتف ويأخذ بملاءة كبيرة حتى يدبِّر ما يريد تدبيرهُ فتنزع عنهُ الملاءة فيظهر في الهواء قاعدًا القرفصاء ويمينهُ على القبضة المشار اليها ويسارهُ تعد خرزات سبحتهِ . فصال بسحرهِ على عقول العامة وطال واشتهر امرهُ ورسخت في نفوس السذَّج مهابتهُ ومات في سنة ١٨٣٠ ولم يبُحْ بسحرهِ لاحد . وفي

سنة ١٨٣٣ قام برهي آخر يُسمَّى شيشال وكان يعمل عمله . وفي ١٨٤٧ بسط هذه البضاعة رجل افرنجي في سوق الافرنج وكان النوم المغنطيسي في أبّان زهوته وترهاته ذاهبة في اوربا كل مذهب فادّعى هذا الرجل انهُ يوقف ابنهُ في الهواء بتكثيف الايثر نحنهُ ونحو ذلك من التعاليل الملفّقة على منوال البطل فتألّب الناس حولهُ من كل فجٍ فاراهم الصبي تارةً قاعدًا وطورًا نائمًا وآونة واقفًا وآونة متكئًا بلا شيء فوقهُ ولا تحتهُ . فهال الناس ما رأَوا وهذرت بقساوة صنيعهِ ثرثارات الجرائد وما طال تمرُّدهُ بعملهِ حتى ظهر لهُ مناظرٌ يعمل تلك الاعمال بفتاة لا تحتمل احتمال الصبي للاعمال الشاقة التي كان ينوهها الناظرون . فبحث المحققون عن سر هذا العمل فوجدوا ان الرجل كان يلبس الصبيَّ ثوبًا حديدًا مشبكًا كالقفص وعكمًا على يدهِ احكامًا مضبوطًا ثم يمدُّ من هذا الثوب قضيبًا من الحديد ويدخله من داخل كم الصبيّ الى مرفقهِ . ثم يوقف الصبي على طاولة بجانبها قائمتان واحدة من هنا والاخرى من هناك ويخرج طرف قضيب الحديد من كمهِ ويركبهُ على راس قائمة من القائمتين ويجعل القائمة الاخرى تحت مرفقهِ ثم يزيل الطاولة وهذه القائمة من تحتهِ فيظهر نائمًا في الهواء ويمينهُ مرتكزة على القائمة اليمنى وراسهُ على يمينهِ ليخفي ما هناك من المكيدة ويوهم الناس انهُ متكئٌ الاتكاء المعتاد . وكان الرجل يرفع جسد الصبي على اي زاوية اراد حتى يصيرهُ افقيًّا كانهُ ممتدد على بساط وذلك بواسطة ماسك يتصل بقضيب الحديد وينزل من تحت ابط الصبي الى اسنان من حديد في ثوب الحديد فاذا انتقل من سنٍّ الى اخرى ارتفع جسدهُ او وطُؤ حسب انتقالهِ . وليس بين عمل هذا الرجل والشيخ البرهي فرق الاَّ في القائمة فالبرهي كان يستعمل قصبة غليظة بدلاً من القائمة ويدخل في جوف هذه القصبة قضيبًا متينًا من الحديد فلا يظهر . وقام بعد ذلك رجل يُسمَّى سلفستر فزاد على الذين تقدموهُ انهُ جعل الواقف في الهواء يدور حول راس القائمة كيف شاء وبواسطة تركيب المرايا على وجوه مخصوصة كان يخفي القائمة عن عيون الناظرين فيرى الناظرون الدائر يدور في الهواء على لا شيء وهذا من غرائب الشعوذات

ومن اعمال سحرة الهنود وغيرهم التنبينة المحورة وبها يوهم الساحر الناظرين انهُ يخلق خمرًا من العدم او من جبهتهِ وذلك انهُ يدعو غلامهُ فيأتيهِ بكاس من الخمر فيشربها امام الجميع ثم يخرج قمعًا من جيبهِ داخلهُ قمع آخر فيظهر للعيان مفردًا (ويكون قد صبَّ في الفتحة التي بينهما خمرًا بقدر ما شرب من الكاس) فيسدُّ فوهة الضيق بابهامهِ دون ان يشعر بهِ احدٌ من الناظرين فلا ينزل شيء منهُ فيحسبونهُ فارغًا ثم يضعهُ على جبهتهِ ويرفع ابهامهُ عن فوهِ فتجري الخمر منهُ الى الكاس فيخالها السذّج تجري من جبهتهِ . وما هذا العمل بشعبذة تستحق الذكر ولكنهُ اوقع في نفوس البسطاء من غيرهِ ... ومن غرائب سحر الهنود ما يحكى عن دفن دراويشهم احياء وقيامهم من القبور بعد زمان طويل

احياء كما دفنوا كأن طبائعهم مثل طبائع الحيوانات التي تموت في الظاهر اياماً او شهوراً او سنين ثم تعيش كالحيات والضفادع وغيرها من الحيوانات التي تنام نوماً طويلاً وذلك مخالف لما يعهد في البشر. ولكن ما رُوي عن هولاء الدراويش لم يروهِ الثقات ولا المدققون فلا يستحق ان يوثق به فضلاً عن انهُ قد اتضح باجلى بيان انهم يخدعون الناس في ما يدَّعون واعتمادهم كلهُ على الحيل والمكايد كما ترى . ان درويشاً من دراويش سورات بالهند استرهن ما لاً على ان يعيش بعد ما يُدفن خمسة عشر يوماً في قبر عمقهُ خمس اذرع ويظهر في اثناء دفنهِ في مدينة امادابت على مئتي ميل من هناك. فقال والي ولاية سورات في نفسهِ لو كان هذا بسحرهِ يموت ويعيش ما اقتضى لهُ خمسة عشر يوماً حتى يظهر في امادابت بل كان يفعل ما هو اعجب فيظهر فيها في اليوم التالي واني لاراهنهُ على ذلك فارى ما تكون نتيجة دعواهُ. فراهنهُ وحُفِر القبر فقال لهُ الدرويش تدفنوني وتسقفون القبر بالقصب على ذراعٍ فوقي لئلاَّ يخنقني التراب فقال الوالي نفعل ما تريد فسقفوا القبر فوقهُ كما طلب (وهذا يطلبهُ كل من يعمل عملهُ من الهنود) وردُّوا التراب عليهِ ووضع الوالي على القبر حراساً يحرسونهُ لئلاَّ يخرجهُ احدٌ. وبينما الحراس على القبر التفت رئيسهم فرأى جماعةً من الدراويش قد جلسوا تحت شجرة حول قدر كبير ملآن ماء ينظرون الى الارض صامتين فذهب اليهم في نفر من الحراس ورفع القدر فاذا جبٌّ تحتهُ فتراولوا الى الجب فوجدوا فيهِ سرباً فولجوهُ وما زالوا سائرين حتى اعترضهم جدار القبر وسمعوا المدفون يحفر في الحائط حفر من يحاول الفرار من اظفار المنية . فلو نجا هذا الدرويش لانطلق من ساعتهِ الى امادابت وظهر فيها لبعض رفقائهِ ثم انثنى راجعاً مسرعاً السير الى قبرهِ واضطجع فيهِ مضتى ضاعفاً من مشقة المسير كانهُ مات الخمسة عشر يوماً. فما يمنع بعد هذا ان يكون الباقون قد عملوا عملهُ او عملاً آخر يشبههُ

ومن غرائبهِ انهم يلتقمون النار ثم يبصقونها ولا تضرُّهم حُكِي انهُ لما ساح ولي عهد الانكليز الى بلادهم تاهند ساحراً يلتقم النار كمن يلتقم الطعام ثم يقذفها من فيهِ ولا تضرهُ وذلك بعد ان يقسم عليها ويعزم كما في عادة السحرة فالسرُّ هنا في النار لا غير وكثيرون غير مشعوذين الهنود يلتقمون النار مثلهم وذلك بان يشعلوا خرقة كتان ثم يلفوها بخرقة اخرى غير مشتعلة ويدخلوها في افواههم ثم ما زالوا يستنشقون الهواء من انوفهم تتقد الخرقة ويتجه لهيبها الى خارج افواههم فيقذفون من افواههم باللهب ولا تضرهم ولا ينهاهُ ذلك الاَّ للمجرب الماهر. ومن غرائبهِ ايضاً انهم ينبتون الشجرة من البزرة في برهة وجيزة من الزمان . قال بعض من ساح مع ولي عهد الانكليز الى الهند ان ساحراً دفن في الارض بزرة شجرة تعرف عند الهنود بالمنكو ثم غطاها «بخرقة قذرة» وانثنى يرقي امامنا صلين وما لبث طويلاً حتى ابرز لنا شجيرة خضراء نضرة طولها نحو ذراع . ثم غطاها وعاد الى صليهِ حتى

آن له فكشفها فاذا هي حاملة ثمرات صغيرات والسرّ في هذا ان السحرة يهيئون معهم بزرًا وفروخًا ذات ورق بلا ثمر واخرى بورق وثمر ويخفونها في جيوب مفتوحة في ممالخرقة الفذرة ٢٢ التي لا يخطر لاحد ان مدار الشعوذة عليها . ثم يعمدون الى رقي الاصلال ويشغلون افكار الناظرين بافعالها حتى يلهوهم عنهم قليلاً فينصبون الفرخ المورق في الارض وكذلك المثمر

ومما يتعلق بالسحر رقي الافاعي وابرع الناس فيهِ حواة الهند ومصر وسورية والنوادر عنهم كثيرة فنقتصر على بعضها . قال الراوي المتقدم ذكرهُ ولما دفن الساحر البنرة في الارض فتح سلةً بيدهِ فانساب منها صلّان وجعلا يثّان ويكشان حتى افشعرت منها الابدان ثم طفق الساحر ينفخ لهما بالمزمار وهما يرقصان ويتمايلان كانهما يترنحان طربًا فدنا حكيم من صحب البرنس عصاهُ الى فم احدهما واراهُ نابيهِ مقلوعين وبذلك لم يعد له سبيل للدغ البشر . وكان هذا الحكيم آفةً على سحرة الهنود في ابطال دعاويهم وكشف مكايدهم . حضر ساحر امام البرنس وكان يدّعي انهُ يخرج الهواء من ثقب في عنقهِ وينفخ بهِ مزمارًا بيدهِ فقال الحكيم ما هذا الا رجل يتكلم من بطنهِ ومن لا يصدّق فليضع يدهُ على طرف المزمار فان شعر بالنفس خارجًا منهُ كنت مخطئًا والاّ كان هذا مكارًا فوضع بعضهم يدهُ فلم يشعر بشيء فعلموا انهُ من يتصرف بالصوت كيف شاء (انظر وجه ٣٣٠ من السنة الثانية) فيحكي اية نغمة ارادها . اما حواة الهنود فيحتالون على قلع انياب الاصلال ثم اذلالها او بدلونها ويحسنون الاعتناء بها كما بيّنا ذلك وجه ١٧٤ من هذه السنة وما دام في الصل نابهُ فلا يزول من قلب الحاوي خوفهُ ولا يغض طرفهُ عن مراقبتهِ والتحذر منهُ

واما حواة مصر وسورية فاترابهم الهنود براعةً واحيانًا لا وكلهم يدّعون انهم يرقون الافاعي رقيًا ويستعينون عليها بقوى غير طبيعية وذلك افك منهم وغش ليتعيشوا من مال السذّج فكل حواة مصر وهذه البلاد لا يداعبون الافاعي حتى يقلعوا انيابها او يذلوها بطريقة اخرى وقد استحضرنا حاويًا مشهورًا واستخبرناهُ عن امساكهِ للافاعي فقال اني ارقيها وقد شربتُ شربةً فلا يضرني سمها الا انّا ما زلنا بهِ حتى اقرّ ان الافعى لا تعرف الرقية والسم لا تنتلة الشربة ولكنهُ لم يقرّ بكيفية امساكهِ لها . وبعض هولاء الحواة مكارون فيلقون افاعيهم في البيوت خفيةً ثم يستخرجونها منها باجرتهم فيظن الناس انها لا تؤذيهم حال كونهم لا يمسكون الاّ ما ربّوهُ او ما يحتالون على مسكهِ احيانًا الاّ ما لم يربوهُ

ومن غرائب سحر الهنود سحر السلة وتتضح طريقتهُ وتظهر غرابتهُ من وصف بعضهم لهُ قال شهدت يومًا في قرية من قرى الهند محفلاً حافلاً ومشعوذًا يلعب في وسطهِ فناولنا سلةً لننظرها فوجدناها كسلال تلك البلاد رقيقة النسج كثيرة الثقوب تكاد تشفّ عمّا تحتها فلما رددناها قلبها على فتاةٍ لها

من العمر ثماني سنوات وحالاً اكفهرّ وجهه وتوقّدت عيناهُ وجعل يتلدم غيظاً ويتهدّد الفتاة ثم يسألها فتجيبه فيزداد غيظاً فيهمّ بقتلها فتسترحمهُ بكلام يفتّت الاكباد فيخمد غيظه قليلاً ثم يعود الى ما كان عليهِ من الاكفهرار والغيظ والوعيد حتى صارت مقلتاهُ كالدم القاني ولم يعد يرى ما امامهُ فامتلّ سيفه وداس السلّة برجلهِ وضربها بسيفهِ ضربات متوالية فانقلب صوت الفتاة من الولولة الى الانين ثم انقطع وجعلت تخبط بدماها . فاصبت الحمية في راسي والتفتُّ الى رفاقي فاذا هم صفر الوجوه كالموتى وهمستُ بان اثب عليهِ واقتله ولكن منعني من ذلك كوني اعتزل وكونهُ مسلحاً فضلاً عن اني لم اجزم كل الجزم بانهُ قتل الفتاة اذ لا يجترأ عاقل على ذلك بمرأى من جمهور غفير كجمهورنا . ولما فرغت الفتاة من الخبط بدمها ولم يعد فينا الاّ بقية من الشك في قتلها رفع الساحر السلة فلم نجد للفتاة عيناً ولا اثراً ولبثنا ننظر بعضنا الى بعض حيارى حتى رأيناها تمدّ لنا اناء تجمع فيهِ الجدوى فجدنا لها بالمال عن طيب نفس والذي زادنا عجباً اناّ لم نرَ احداً دنا من الساحر ولم يدنُ الساحر من احد مدّة تخوصنا اليهِ اه . وتفسير هذه المسئلة ان الساحر يستصحب فتاتين متشابهتين خلقةً ويحفر في الارض سرباً ويجعل بابهُ سهل الفتح والاغلاق ويغطيهِ بالتراب فتضطجع الفتاة على هذا الباب ويقلب السلة عليها ثم يشغل عنها نظر الناظرين بغيظهِ ووعيدهِ ورفسهِ الارض وعربدتهِ ويثير التراب طوراً ويهمّ بضربها بالسيف تارةً ريثما تتمكن من فتح الباب والولوج منهُ الى السرب خفيةً وهي تغير صوتها من صوت المتضرّع الى الولولة فالانين وتتظاهر عند فتحها الباب واغلاقها اياهُ انها تخبط بدماها . ولما ترد الباب كما كان تبقى في السرب وتتقدم اختها لتجمع العطايا فيظنها الناس اياها . فالسرُّ في ذلك للباب واذا لم يتيسّر لهم عمله في محل استغنوا عنهُ بعمل السلة على هيئة تفي بغرضهم ولا يسمحون اذ ذاك لاحد ان يفحص السلة كذا فعلوا في مدينة لندن . وقد يفتحون للسرب منفذاً آخر ولا يستعملون الاّ فتاةً واحدة فتخرج من ذلك المنفذ وتجمع العطايا . وآخر ما نذكرهُ هنا عن سحرة الهنود ان بعضهم يُطرحون في نهر الكنج مربطين الايدي بحبال ومغلولين في اكياس فيخرجون منها سالمين وتفسير ذلك انهم يعوّدون نفوسهم الخفة والتخلص من الرُّبُط كما يتعوّد المشعوذون فاذا ربطت ايديهم وغلوا في الاكياس تملصوا من تلك الربط ثم استلوا خناجرهم من تحت ثيابهم وقطعوا الاكياس في لحظة عين وفازوا بحياتهم واما الحبال والاكياس فتغوص الى قعر الماء باثقال معلقة بها

وما هو مشهور عن سحرة هذه البلاد وغيرها انهم يذبحون غلمانهم ثم يبرّؤون فيحييونهم من الموت وهذا ايضاً من خرافاتهم كما لا يخفى والسرُّ فيهِ للسكين التي يستعملها الساحر فان فيها غير الشفرة القاطعة شفرة عكسية كالمخجل كالة الاّ تسمّ بلي مقبضها وراسها فيها الساحر يحاول ذبح غلامهِ

بالشفرة الماضية بطويها بخفة وصناعة ويفتح الكالة العكناء ويدخلها من وراء عنقو فلا يظهر منها الاّ ماضي طرفيها . ثم يعصر اسفنجة في كوٍ فيميل منها احمر دم الاخوين (عقار احمر) فيظن الناظر ان سكين الساحر قد غارت في عنق غلامو ولا سيما اذ يرى طرفيها ظاهرين من هنا وهناك والدم سائلاً * والبعض يطعنون خواصرهم بالسيوف فيجوز السيف فيها بالظاهر من جانب الى آخر ولا يضرهم . وبيانه انهم يصومون عن الطعام زماناً طويلاً حتى تضمر بطونهم ضموراً زائداً ثم يشدون عليها معدّاً كاذبة ويجيزون السيوف بين بطونهم وهذه البطون الكاذبة فيتوهم الناظر انهم طعنوا خواصرهم ولا يتاتى ذلك الاّ للخبير الماهر منهم * وغيرهم يبلعون السيوف ولا يعبأون بها وبيانه اما انهم يتزلون نصال السيوف في انصبتها بعد ما يفكونها بلوالب كما هو معهود في كثير من آلات المشعوذين فيتوهم الناظر انهم ابتلعوا النصال والحال ان الانصبة ابتلعتها واما انهم يعتادون ذلك فيتسع بلعومهم وبتمرينهم بكثرة الاستعمال وذلك معهود في بعض المعالجات الطبية فقد يدخلون من بلعوم الانسان الى معدتو انبوباً يحتقنون بو المعدة لازالة السموم منها اذا كان الانسان مسموماً . ويؤيد هذا ان الذين يبلعون السيوف يرفعون رؤوسهم ويقومون صدورهم ليسهل عليهم انزال النصال والعادة من اكبر الاعوان لهم على ذلك والله اعلم * وغيرهم يدّعون انهم يرون الشيطان او غيرهُ من الجن في قنينة فيناجونهُ ويستطلعونهُ عن الخفايا وهذا افسد من ان يفسد والعجب ان كثيرين يعتقدون بصحتو وهو كذب لا اثر للصدق فيو * وغيرهم وهم اصحاب الفال يدعون انهم يعرفون سعود الناس ونحوسهم من طوالعهم او من النظر الى اكفهم او غير ذلك وهذا اكذب من ذاك * وغيرهم وهم اصحاب المندل يدّعون بجمع الارواح واستعلام المجهولات منها . وهذا يروي كثيرون من عامة الناس ان اصحابهُ يصدقون فيو . اما نحن فانّا وان نكن لا نصدّق هذه الروايات اذ قد روي كثير مثلها من قبل ولم يثبت لا نتعرض لافساد المندل الآن لانّا لم نرَهُ ولم نعثر على كتابة فيو لاحد من المدققين وليس من الصواب ان يكذّب امرٌ قبل البحث عنهُ والوقوف على ما يقضي بتكذيبو . على اننا لا نعتقد بشيء من الصحة فيو فقد صرحنا آنفاً ان كل ادلة هذا الزمان على كذب السحر وما شاكلهُ فاذا تاتّى لنا ان نشاهد المندل او نعثر على انتقادات المدققين عليو لم نترك ذرّة من مادتو تفوت من يرغب في هذه المباحث. هذا بعض ما تيسر لنا ذكرهُ من شعوذات ابناء زماننا واولاد بلادنا وهو وان يكن لا يشتمل الاّ على شعوذات محضة فكثيرون منا يحسبونها من اعمال الشيطان واعوانو لا من خفة في اليد وضبط في العمل وذلك عين ما اردنا التنديد بو وقصدنا نزعهُ من الاوهام فصدرنا المقالة بما صدرناها دفعاً لتوهم غيرهِ وتقريراً لهُ في ذهن القارىء . والليب يعلم بعد هذا ان ما يخالف ما ذكرنا في العمل يوافقهُ في المبدإ وان لا قوة لغير الله ومن اعطاهُ الله على مجاوزة حدود الطبيعة الى ما فوقها.

فعلى شرائع هذه الطبيعة مبادئ سحرة زماننا وعلى مادتها مدار اعمالهم الغريبة وشعوذاتهم العجيبة